وكانت القصَّةُ في أيام ملوك الطوائف في حياة عيسى عليه السلام، وقيل: بعد رَفْعِه[١].

فصل في ذكر جماعة من القدماء

فمنهم **خليفةُ موسى عليه السلام**، كان بنو إسرائيل استَخلَفوا عليهم خليفةً بعد موسى عليه السلام، فقام يُصلّي في ليلةٍ مُقمِرةٍ فوق بيت المقدس، فذكر أموراً كان صَنعها، فتدلّى[٢] بسبب، فأصبح السبب معلقاً في المسجد.

وانطلق، فأتى على قوم يَضربون اللَّبِن، فلَبَّن معهم، وكان يأكل من عَمل يده، فرفع ذلك العُمَّال إلى قَهْرَمانهم، فأرسل إليه فأَبى أن يَأتيَه، فجاءه القهرمان بنفسه إليه، فلما رآه فَرَّ، فاتَّبعه وقال: إني لَأَظنُّ أني لاحِقٌ بك، فلَحِقه، فعبدا الله حتى ماتا برُمَيْلَةِ مِصر.

ومنهم **ابن الملك الذي تَزَهَّد**، كان رجل من ملوك بني إسرائيل قد أُعطي طولَ العُمر، وكثرةَ المالِ والولد، وكان أولادُه إذا كَبر أحدُهم لبس [ثياب] الشَّعْر، ولحق بالجبال، وساح في الأرض يأكل من بُقولها وشجرها حتى يموت، ففعل ذلك جماعةٌ منهم واحداً بعد واحد حتى تتابعوا على ذلك، فأصاب وَلَداً على كِبَر، فدعا قومَه وقال: إني قد أصبتُ هذا الولدَ على الكِبَر وقد تَرَوْنَ شفَقَتي عليكم، وأخافُ أن يَتبع سُنَّة إخوته، فحَبِّبوا إليه الدنيا عسى أن يَبقى بعدي لكم.

فبنَوْا له حائطاً فرسخاً في فرسخ فكان فيه دهراً، ثم ركب يوماً، فرأى الحائطَ فقال: إني لأحسَب أن وراء هذا الحائط أُناساً وعالماً آخر، أخرجوني أَلقى الناس، وأَزْدَدْ علماً، فأُخبِر أبوه بذلك فجَزع وقال: اجمعوا عليه كلَّ لهوٍ ولَعب، ففعلوا.

ثم ركب في السنة الثانية. وقال: لابُدَّ من الخروج. فأخرجوه على عَجَلَةٍ مُكَلَّلَةٍ بالدُّرِّ والياقوت والذّهب والزَّبَرْجد، والناس حوله، فبينا هو يسير إذ مرَّ برجلٍ مُبْتَلى، فقال ما هذا؟ قالوا: مُبْتَلىً قال: أيُصيبُ هذا أُناساً دون أُناس، أو كلٌّ خائفٌ منه؟ قالوا: بل كلٌّ خائفٌ منه، قال: وأنا فيما أنا فيه من السُّلطان؟ قالوا: نعم، قال: أُفٍّ

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٧ـ١١، وما بين معكوفين منه، وانظر قصص الأنبياء للثعلبي ٤٠٨ـ٤١٠، والبداية والنهاية ٢/ ١٠ـ١٥.

(٢) في النسخ: فبكى، وهو تصحيف، والمثبت من التوابين ٧٤، وقد ورد هذا الخبر من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً في المسند (٤٣١٢)، وانظر المنتظم ٢/ ١٨٤، السبب: الحبل.

لعيشكم هذا، إنه عيش كَدَر.

فرجع مَهموماً مَحزُوناً. فأُخبِر أبوه بذلك فقال: قَرِّبوا إليه كلَّ لَهوٍ وباطل حتى تَنزعوا من قلبه هذا الغمَّ والحُزْن.

فلبث حولاً ثم قال: أَخرجوني، فأُخرِج على مثلِ حالهِ الأوَّلِ، فبينا هو يسير إذ مَرَّ برجل هَرِم، ولُعابُه يسيلُ من فيه، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا رجل هَرِم، قال: أيُصيب هذا ناساً دون ناس، [أوكلٌّ خائفٌ منه؟] قالوا: بل كلٌّ خائفٌ منه، فقال: أُفٌّ لعَيشكم هذا، إنه لَعَيش كَدَر، لا يَصفو لأحد، فقال أبوه: احشروا له كلَّ لَهوٍ وباطل. ففعلوا.

فمَكثَ حولاً، ثم ركب، فبينا هو يسير إذا بنَعْشٍ يحمله الرجال على أعناقهم وعليه ميت فقال: ما هذا؟ قالوا: ميت. قال: وما الموت؟ قالوا: هلاك، قال: قَرِّبوه إليَّ. فقرَّبوه إليه فقال: أجلِسوه، قالوا: إنه ما يجلس، قال: كلِّموه، قالوا: ما يَتكلَّم، قال: فأين تَذهبون به؟ قالوا: نَدفِنُه تحت التُّراب، قال: فما يكون بعدَ ذلك؟ قالوا: يُحشَر، قال: وما الحشر؟ قالوا: يوم يقوم الناسُ لربِّ العالمين، فيُجزى كلُّ أحدٍ على قَدْرِ حسناته وسيّئاته. قال: ولكم دارٌ غيرُ هذه؟ قالوا: نعم، فرمى بنفسه إلى الأرض، وجعل يُعَفِّر وجهه بالتراب ويقول: من هذا كنتُ أَخشى، كاد هذا يأتي عليَّ وأنا لا أعلم به، أمَا وربٌّ يُحيي ويُميت، ويُعطي ويُجازي، إنّ هذا آخرُ الدَّهر بيني وبينكم، فلا سبيلَ لكم عليَّ بعد اليوم، قالوا: لا نَدَعُك حتى نُسلِمَك إلى أبيك.

فردوه إليه وكاد يُنْزَفُ دمُه. فقال: يا بُنيّ، ما هذا الجَزَع؟ فقال: يا أبت، جَزعي ليومٍ يُعطى فيه الكبيرُ والصغيرُ مُجازاتَهما على ما عَمِلا من خيرٍ وشرّ.

ثم لبس المُسوح، وخرج من القصر نصفَ الليل وهو يبكي ويقول: اللهم خِرْ لي في أمرٍ سَبقتْ به المَقادير، إلهي لوَدِدْتُ أن الماء كان في الماء، والطينَ في الطين، ولم أَنظُر بعيني إلى الدُّنيا نظرةً واحدة. فكان آخر العهد به.

قال بكر بن عبد الله: فهذا رجلٌ خرج من ذَنْبٍ واحد لا يعلم ماذا عليه، فكيف بمَنْ يُذْنِبُ وهو يعلم ما عليه، ولا يَجزَعُ ولا يتوب[1]؟!

(١) التوابين ٦١ـ٦٤، والمجالسة (٢٨٦٨)، والمنتظم ٢/ ١٨٤ـ١٨٧، وما بين معكوفين منها.

ومنهم **ذو الرِّجْل**، كان في بني إسرائيل رجل يَتعبَّدُ في صَومعته، فأقام زماناً، فأَشرفَ يوماً، فإذا بامرأةٍ، فرآها فافتُتِنَ بها، وهمَّ أن يَنزل، فأَخرج رجلَه ليَنزلَ إليها، فأدركه الله بسابقةٍ منه، فقال: ما هذا الذي أُريدُ أن أصنع؟! ورَجعتْ إليه نفسُه، وجاءتْه العِصمةُ ونَدِم، فلما أراد أن يُعيد رِجْلَه إلى صومعتِه قال: هيهات هيهات، رِجْلٌ خرجتْ تُريدُ أن تعصيَ الله، والله لا عادت إلى صومعتي أبداً. فتَركها مُعلَّقةً ظاهر الصَّومعة، تُصيبُها الرِّياحُ والمطرُ والشمسُ والحَرُّ والبردُ، حتى تَقطَّعتْ، فشكَر الله له ذلك، وأنزلَ في بعض الكتب: [«وذو الرِّجْل»] يُثني عليه[1].

ومنهم **صاحبُ الغَمامة**، وَلِعَ رجلٌ قَصَّابٌ بجاريةٍ لبعض جيرانه، فأرسلَها أهلُها لحاجة لهم في قريةٍ أُخرى، فتَبعَها، فراوَدَها عن نفسِها، فقالت له: لا تفعل فأنا أَشدُّ حُبّاً لك منك لي، ولكنّي أخافُ الله. فقال: وأنت تخافينَه وأنا لا أخافُه؟ فرجع تائباً، فعَطِش حتى كاد أن يَنقطعَ عُنقُه، فإذا هو برسولٍ لبعض أنبياء بني إسرائيل، فقال له: ما الذي بك؟ قال: العَطَشُ. فقال: تعالَ حتى ندعوَ الله تعالى، فتُظِلَّنا سحابةٌ إلى أن نَدخُلَ القرية، فقال: مالي من عمل، فقال: أنا أدعو وأنت تُؤَمِّن، فدعا الرَّسولُ وأمَّن القَصَّاب، فأَظلَّتْهُما سحابةٌ حتى انتَهيا إلى القرية، فأخذ القَصَّاب إلى مكانه، ومالت السَّحابةُ معه، فقال له الرسول: زعمتَ أنه ليس لك عمل! وأنا الذي دعوتُ وأنت أَمَّنْتَ، فلما افترقنا أَظلَّتْك السَّحابة، فأخبرني ما الذي صنعتَ. فأَخبره، فقال الرسول: التَّائب إلى الله من ذنبه بمكان ليس أحدٌ من الناس بمكانه[2].

ومنهم **ذو الكِفْل**، رُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما[3] أنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يُحدِّث حديثاً، لو لم أسمعْه إلا مَرَّةً أو مرَّتين لم أُحدِّث، سمعتُه منه أكثر من سبع مرات، قال: «كان رجلٌ من بني إسرائيل يُقال له ذو الكِفل، لا يَنزعُ عن ذَنْبٍ عمله، فاتّبع امرأةً، فأعطاها ستين ديناراً على أن تُعطيَه نَفْسَها، فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة، أُرْعِدت وبَكَتْ، فقال: ما يُبكيك؟ فقالت: من هذا العمل ما عَمِلْتُه قط. قال:

---

(١) التوابين ١٠٠ـ١٠١، والمنتظم ٢/ ١٨٠، وما بين معكوفين منهما.

(٢) المنتظم ٢/ ١٧٧، والتوابين ٩٧.

(٣) في النسخ: روي عن عمر رضي الله عنه، وهو خطأ، فالحديث من رواية ابنه عبد الله في مسند أحمد (٤٧٤٧)، وسنن الترمذي (٢٤٩٦)، وصحيح ابن حبان (٣٨٧)، وانظر المنتظم ٢/ ١٦٣ـ١٦٤، والتوابين ٩٤ـ٩٥.

أكرهتُك؟ قالت: لا، ولكن حَملَتْني عليه الحاجة، قال: اذهبي فهي لك، ثم قال: والله لا أعصي الله أبداً. ثم مات من ليلته، فقيل: مات ذو الكِفل، فوُجِد على باب داره مكتوب: إن الله قد غفر لذي الكِفل».

ومنهم **جُرَيج الرَّاهب**، قال رسول الله ﷺ: «لم يَتكلَّم في المَهْد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم، وكان في بني إسرائيل عابدٌ يقال له جُرَيْج، فقالت بَغْيٌ منهم: إنْ شئتُم فَتَنْتُه، قالوا: قد شِئْنا، فأتَتْه، فتَعرَّضت له، فلم يلتفت إليها، فأمكَنَتْ من نَفْسِها راعياً كان يُؤوي غَنَمه إلى أَصْلِ صَومَعتِه، فحَملتْ منه، ووَلَدت غُلاماً فقالوا: ممّن هذا؟ قالت: من جُريج. فأتَوْه، وأنزلوه من صومعته، وضربوه وشَتموه، وهدموا صومَعتَه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيتَ بهذه البغيّ، وقد وَلدتْ غلاماً. فقال: وأين هو؟ قالوا: ها هو. فقام فصلى ودعا، ثم انصرف إلى الغُلام، فطَعَنه بإصبعه وقال: بالله يا غُلام، مَن أبوك؟ فقال: فلانٌ الرَّاعي، فوَثبوا إلى جُريج فجعلوا يُقَبِّلُونه، وقالوا: نبني صومعتَك ذهباً، قال: لا حاجةَ لي في ذلك، ابنوها طيناً كما كانت.

قال: وبينما امرأةٌ في حجرها ابنٌ لها تُرضِعُه، إذ مرَّ بها راكبٌ ذو شارة، فقالت: اللّهم اجعلْ ابني مثلَ هذا. فترك الصبيُّ الثديَ، وأقبل على الرّاكب وقال: اللهم لا تَجعَلْني مثلَه، ثم عاد إلى ثَديها يَمَصُّه.

ثم مَرَّت بأَمَةٍ تُضْرَب، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثلَها، فترك ثديَها، وأقبل على الأَمةِ فقال: اللهم اجعَلْني مثلَها، ثم قال: يا أُمَّاه، أمّا الرّاكب فجَبّار من الجبابِرة، وهذه الأَمَة يقولون لها: زَنيتِ، ولم تَزْنِ، وسَرقتِ، ولم تَسرِقْ، وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل». أخرجاه في الصحيحين[1].

حديث العَقار والجَرَّة

قال رسول الله ﷺ: «اشترى رجلٌ من رجلٍ عَقاراً، فوجد المُشتَري فيه جَرَّة فيها ذَهب، فقال المُشتري: خُذْ ذَهَبَك، فإنما اشتريتُ العَقار ولم أشتر الذَّهب، فقال البائع: إنما بِعتُ الأرض بما فيها. فتحاكما إلى رجلٍ، فقال: ألكما ولد؟ قالا: نعم.

(١) البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه أحمد (٨٠٧١).

قال أحدهما: لي غُلامٌ، وقال الآخر: لي جاريةٌ، فقال: أنكِحوا الغُلامَ الجاريةَ، وأنفقوا عليهما منه، وتصدَّقوا. وفي رواية: وأنفِقا عليهما، وتصرَّفا فيه». أخرجاه في الصحيحين[1].

حديث الرَّجل الذي قَتل تسعةً وتسعين ثم أكمل المئة

قال الإمام أحمد بن حنبل ﷺ: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا هَمَّام بنُ يحيى، عن قتادة، عن أبي الصِّدِّيق النَّاجي، عن أبي سعيد الخُدري قال: لا أُحدِّثُكم إلا ما سمعتُ من رسول الله ﷺ، سمِعتْه أُذُناي، ووَعاه قلبي:

«إن عبداً قتل تسعةً وتسعين نَفْساً، فعَرَضَتْ له التوبةُ، فسأل عن أعلمِ أهلِ الأرض، فدُلَّ على رجلٍ، فأتاه، فقال: إني قتلتُ تسعةً وتسعين نَفْساً، فهل لي من توبة؟ قال: لا، فقتله وكمل به المئة.

ثم عَرضت له التوبة، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلّ على رجلٍ، فأتاه فقال: إني قتلتُ مئة نَفْس، فهل لي من توبة؟ فقال: مَن يَحولُ بينك وبينها، اخرُجْ من القرية الخبيثة التي أنت بها إلى القرية الصالحة. فخرج، فعَرَضَ له أجلُه في الطريق، فاختصمت فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذاب، فقال إبليس: أنا أولى به؛ لأنه لم يَعصِني طَرفةَ عينٍ، أو ساعةً قَطُّ، فقالت ملائكةُ الرَّحمة: إنه خرج تائباً». قال همَّام: فحدَّثني حُميد الطَّويلُ، عن بكر بن عبد الله المُزَنيّ، عن أبي رافع قال: «فبعثَ الله ملائكةً، فاختصموا فيه». رجع الحديث إلى قتادة، قال: فقال: «انظُروا إلى أيِّ القريتين كان أقرب، فأَلحِقوه بأهلها».

قال قتادة: فحدثنا الحسن: أنه لما عَرفَ الموتَ احتَفَزَ بنَفْسِه، فقرَّبه الله من القرية الصَّالحة»، وهو في رواية: «فوجدوه أقربَ إلى القرية الصالحة بشِبْر، فغُفر له». ومعنى الحَفْزُ، أي: اندفع من خَلْفه[2].

---

(١) البخاري (٣٤٧٢)، ومسلم (١٧٢١) من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرجه أحمد (٨١٩١).

(٢) أخرجه أحمد (١١١٥٤)، والبخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦)، وانظر التوابين ١٠٨ـ١٠٩.

حديث الرَّغيف

قال مُغيثُ بنُ سُمَيّ: تَعبَّد راهبٌ من بني إسرائيل في صَومعته ستين سنة، فنظر يوماً في غِبِّ سماء، فأعجَبتْه الأرضُ، فقال: لو نزلتُ فتمشَّيتُ في الأرض، ونظرتُ فيها.

قال: فنزل معه برغيفٍ، فعَرضت له امرأةٌ، فتَكشَّفتْ له، فلم يَملِك نفسَه أن وَقعَ عليها، فأدركه الموتُ على تلك الحال، وجاء سائلٌ، فأعطاه الرَّغيفَ، ومات. فجيءَ بعملِ ستين سنةً، فوُضِعَ مع عَمله، فرَجح بخطيئته[١].

حديث القِرد

قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: حدثنا بَهْز، حدثنا حمّاد بنُ سَلَمة، أخبرني إسحاق بنُ عبد الله، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «حَمَلَ رجلٌ معه خمراً في سفينة يبيعه، وكان معه قرد، فكان الرجل إذا باع الخمر شابه بالماء، فأخذ القردُ الكيس، وصَعِد على رأس الدَّقَل[٢]، فجعل يطرح ديناراً في البحر وديناراً في السفينة، حتى قسَمه نِصفين».

حديث السَّقَّاء

قال وَهب بن منبّه: كان في بني إسرائيل عابدٌ لم يكن له إلا جُبَّةُ صوف، وقِرْبةٌ يَستقي فيها الماء للفقراء والأرامل، فلما احتُضر قال لأصحابه: إني لا أُخَلِّفُ من الدنيا سوى هذه الجُبَّة والقربة، فإذا متُّ، فاحملوها إلى الملك، وقولوا له: إني لا أَقْدِر على حَملِ هذه يوم القيامة، فاحملها مع ما تحمل من دُنياك. فلما مات حملوها إلى الملك، وأبلغوه رسالته، فقال الملك: هذا الزاهد عَجَز عن حمل قِربَةٍ وجُبَّةٍ من صوف، وأنا قد تَحمَّلتُ في الدنيا من الآثام والمظالم ما حملتُ! ثم أخذ الجبّةَ فلَبسها، وحمل القِربةَ على كتفه، وصار يستقي للناس الماء كما كان العابد يفعل، وانخلع من الملك حتى مات على ذلك[٣].

---

(١) التوابين ٩٩.

(٢) في النسخ: المرقل! والمثبت من مسند أحمد (٨٠٥٥)، وهي خشبة يُمدّ عليها شراع السفينة.

(٣) التوابين ٧٤.

حديث الخائف

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر قال: قال لي الزُّهْري: ألا أحدّثك حديثين عجيبين؟ قال الزهري: عن حُمَيد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «أَسرف رجلٌ على نفسِه، فلما احتُضر أوصى بَنيه فقال: إذا أنا متُّ فأَحْرِقوني، ثم اسْحَقوني، ثم اذْروني في البحر، فوالله لئِنْ قَدَرَ عليّ ربّي لَيُعَذِّبَنِّي عذاباً ما عَذَّبه أحداً، قال: ففعلوا ذلك به، فقال الله عز وجل للأرض: أَدِّي ما أَخَذْتِ، فإذا هو قائم، فقال له الله تعالى: ما حَملَك على ما صَنعتَ؟ قال: خَشْيَتُك يا ربّ، أو مَخافَتُك. فغَفَر له بذلك»[١].

قال الزهري: وحدثني حُميد، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «دخلت امرأةٌ النارَ في هرَّةٍ رَبَطَتْها، فلا هي أطعَمَتْها، ولا هي أَرسلَتْها تأكلُ من خَشاش الأرض حتى ماتَتْ»

قال الزهري: ذلك لئلا يَتّكِلَ رجلٌ، ولا يَيأَسَ رَجلٌ. أخرجاه في الصحيحين[٢].

حديث الكلب

عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «بينا كلبٌ يُطيفُ برَكِيَّة، قد أَدْلَعَ لسانه في يوم حارّ، قد كاد يقتلُه العَطشُ، إذ رأتْه بغيٌّ من بَغايا بني إسرائيل، فنَزعت مُوقَها فسقَتْه، فغفر الله لها»[٣]. الموق: الخُفُّ القصير.

(١) مسند أحمد (٧٦٤٧)، وأخرجه البخاري (٣٤٨١)، ومسلم (٢٧٥٦).

(٢) مسند أحمد (٧٦٤٨)، وأخرجه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٦١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).